التحديـدات المصطلحاتيـة في تراثنا

الأستاذ بوشاقور علي.
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

المقدمـة:

لقد أولى علماؤنا أهمية كبيرة لموضوع المصطلحات في إطار اهتمامهم باللغة حتى يستوعب الدارس والقارئ الدلالة أو المفهوم الذي يوحي به المصطلح وقدموا في هذا الاتجاه دراسات وبحوثا كان لها الأثر الكبير في بيان الترابط بين المصطلح والمفهوم.

وإذا كان بعض العرب يرى أن اللسانيات العامة لها فوائد كثيرة على البحث اللغوي من جانب المنهجية ومن جانب إثرائه بمفاهيم المصطلحات الجديدة، فهذا لا يعني أبدا أن المصطلحات كانت مغيبة في تراثنا بل إن الاهتمام بالمصطلحات كان الشغل الشاغل لأغلب المصنفين والمشتغلين في حقل اللغة.

إن المصطلح عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة، والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي... ([18])

وانطلاقا من هذا التحديد للمصطلح فقد حرص علماؤنا على رسم حدود المصطلحات كلما قابلهم معتقدين أنه كلما أدرك القارئ الترابط الموجود بين المصطلح والمفهوم كان الولوج سهلا إلى ذلك العلم المنضوي تحت المصطلح فقد أدركوا أن فهم المصطلحات هم فهم البحوث والموضوعات فهي بمثابة المفاتيح للعلوم.

---

[18] – مدخل إلى علم المصطلح، أحمد أبو حسن، ص60.

ولقد فضلت في هذا البحث أن أبدأ من القرن الخامس الهجري وبالتحديد مع الأمير محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة 466هـ .

فقد قال حينما عقد فصلا في الحروف:

الحرف في كلام العرب يراد به حد الشيء وحدته ومن ذلك حرف السين إنما هو حده وناحيته...، وسميت الحروف حروفا لأن الحروف حد منقطع الصوت، وقد قيل: إنما سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته... منه سمي مكسب الرجل حرفة،

لأنه الجهة التي انحرف إليها، والتحريف في الكلام الميل والانحراف، قال الله تعالى:

(يحرفون الكلم عن مواضعه) ([19])

ثم تعرض ابن سنان الخفاجي إلى مصطلح الحرف عند أهل العربية إذ قال: أما تسمية أهل العربية أدوات المعاني نحو: من، وقد، حروفا فإنهم زعموا أنهم سموها بذلك لأنها تأتي في أول الكلام وآخره فصارت كالحروف والحدود له، وقد قال بعضهم: إنما سميت حروفا لانحرافها عن الأسماء والأفعال، وهي عندنا كلام، لأنها منتظمة من حرفين فصاعدا ([20])

وهذا خلاف لما يراه الجمهور لأن الكلام عندهم ينتظم من كلمتين فصاعدا.

ويواصل ابن سنان الخفاجي قوله: وأما قولهم للحروف التي في لغة العرب حروف المعجم فليس بصفة للحروف لأن ذلك يفسد من وجهين: أحدهما: امتناع وصف النكرة بالمعرفة، والثاني: إضافة الموصوف إلى صفته والصفة عند النحويين هي الموصوف في المعنى ومحال أن يضاف الشيء إلى نفسه. ([21])

وغرضنا من هذا أن نبين مدى حرص علماء اللغة العربية على تحديد المصطلحات منذ العصور الأولى الهجرية لما لها من أهمية في لفت انتباه القارئ إلى الموضوع من خلال فهم المصطلح.

ولقد اخترت هذا الموضوع انطلاقا من انشغالي بالتراث منذ دراستي في الماجستير، إذ وجدت لدى القدماء اهتماما كبيرا بالتحديدات فلا يمرون على كلمة تحتاج إلى التوضيح إلا وقفوا عندها ووضحوها بحيث لا يبقى مجال للشك في أن الكلمات أصبحت محددة والأمثلة على ذلك كثيرة إلا أنني اخترت بعض المخطوطات لتكون نماذج للتحديدات المصطلحاتية.

المخطوط الأول:

« لقمة المبتدى » وهو مخطوط في العروض لعلي بن عبد الرحمان الجزائري.

بدأه مؤلفه بعنوان: « ديوان الشعر» ، ولم يتناول الميزان المقصود به البحور إلا بعد أن وقف عند مصطلح " الشعر" فعرفه لغة واصطلاحا، فقال:

---

[19] – سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص14.

[20] – سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص14.

[21] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الشعر لغة: هو العلم والفهم يقال: " شعرت بكذا " أي تفطنت له وعلمته، وخص الشعر بجنس الموزون من الكلام.

وفي الاصطلاح: هو النظم من كلام العرب أو ما وافقه وزنا ([22])

ثم يعود ليحدد لفظا يعتقد أنه يحتاج إلى تحديد وهو: " النظم " فقال:

النظم لغة: العقد بكسر العين ومنه نظمت العقد ([23]) ، وفي الاصطلاح هو كلام موزون قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية .

النظم اصطلاحا: وهذا منهجه في كل المصنف وكان حرص المؤلف شديدا على تحديد المصطلحات حتى عندما يتعرض للأسباب والأوتاد يصنع لها صورة أي شكلا معينا ليكون محددا أكثر لدى الدارس.

يقول: السبب أوله حرف محرك دائما فإذا ضممت إليه حرفا ساكنا سمي سببا خفيفا نحو: "قد وزنه فل" وهذه صورته. ([24]) ويرسم صورته.

ومما يلفت الانتباه في هذا المخطوط أنه نموذج لموقف علمائنا من المصطلحات فكانوا يحرصون أشد الحرص على أن تكون واضحة محددة.

والمصطلحات لا تزال تشكل إلى يومنا هذا مشكلا كبيرا بالنسبة للطلبة الدارسين والباحثين المبتدئين.

المخطوط الثاني: حقائق على الآجرومية: وهو مخطوط في النحو لأحمد ابن محمد المكنى بابن شعيب شرح فيه الآجرومية فال في باب الكلام (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع)، يقول: اعلم أن الكلام لغوي واصطلاحي.

أما اللغوي فيطلق ويراد به حديث النفس ....، أما في الاصطلاح الكلام هو اللفظ، وحقيقة اللفظ عبارة عن الصوت المنقطع. ([25])

ويقول في الجزم: الجزم لغة القطع، واصطلاحا ذهاب حركة أو حرف من آخر الفعل المعرب...([26])

وما نستنتجه من خلال تعاملنا مع المخطوطات أن اهتمام علمائنا بالتحديدات كان شغلهم الشاغل والأمثلة في هذا الباب كثيرة في تراثنا، وأخص بهذا هنا المصنفين الجزائريين والشراح الذين اهتموا بشرح" الألفية " و " الآجرومية " و " النظم " .

ولم يكتف ابن شعيب حينما تعرض لمصطلح المنادى، لم يكتف بالتعريف اللغوي بل تعدى ذلك إلى التعريف الاصطلاحي حتى لا يترك مجالا للشك في أن القارئ قد فهم المصطلح يقول: قال الصباغ ([27]) .

---

[22] – **لقمة المبتدي، ص01.**

[23] – **المصدر نفسه، والصفحة نفسها.**

[24] – **لقمة المبتدي، ص03.**

[25] – **حقائق على الآجرومية، ص06.**

[26] – **المصدر نفسه، ص58.**

النداء في اللغة: رفع الصوت يقال: فلان أندا من فلان، أي أرفع صوتا منه. ([28])

وفي الإصطلاح: دعاء المخاطب بياء أو غيرها من حروف النداء لفظا أو تقديرا، فمثال اللفظي: يا زيد، والتقديري: ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ ([29]) .... ([30])

فنلاحظ من خلال هذا أن ابن شعيب لم يكتف بالتعريف اللغوي والاصطلاحي فحسب بل أكد على المعنى في ذهن القارئ بإثبات أمثلة كشواهد.

ويقول صاحب لقمة المبتدئ في مصطلح المعاقبة والمراقبة والمكانفة ما يأتي:

اختلف العروضيون في المعاقبة والمراقبة هل هما من الزحاف ؟.

والمعاقبة هو أن يتولى سببان في جزء أو جزئين فهما يتعاقبان فإذا زوحف السبب الأول منهما فسقط ساكنه سم الثاني وثبت ساكنه وعكسه ولا يسقطان، ويجوز أن يسلما معا في جزء كمفاعيلن أو جزئيين كفاعلتن فاعلن ([31])

كما تعرض لمصطلح المراقبة إذ قال:

حقيقتها أن يتقابل سببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ويثبت للآخر ولا يسقطان معا ولا يثبتان معا، أعني أنه يمتنع الإثبات فيهما معا والحذف فيهما معا ومحلها يجر المضارع باتفاق في سببي مفاعيلن أعني الياء والنون ([32])

أما عن المكافئة فقال: هو جواز سلامة السببين المجتمعين ومزاحفتهما أو أحدهما ومحلها:السريع و المنسح و البسيط و الرجز.

ففي البسيط والرجز مستفعلن المجموع الوتد وفي السريع والمنسرح مفعولات، ففي هذه الأشطار يجوز إسقاط ساكني السببين معا وإثباتهما معا وإسقاط أحدهما وإثبات الآخر ([33])

المخطوط الثالث: إعراب الجمل" لنور الدين عبد القادر مخطوط في النحو.

فقد اهتم نور الدين عبد القادر كثيرا بالتحديدات المصطلحاتية وهذا ما نجده في مصنفه المذكور قال في الجملة:والجملة كل مركب إسنادي أفاد أم لم يفد نحو: " قام زيد " ، فهذا مثال للمفيد، ولغير المفيد نحو: إن قام زيد. ([34])

---

[27] – الصباغ: هو محمد بن أحمد بن علي الصباغ الجزائري من معسكر، كان قاضيا بقلعة هوارة التي تدعى اليوم قلعة بني راشد، وقد عاصر سيدي أحمد بن يوسف وعرفه شخصيا، وألف له بعد وفاته كتاب: بستان الأزهار في مناصب زمزم الأحرار ومعدن الأنوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، يراجع مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ص73.

[28] – حقائق على الآجرومية لمحمد بن أحمد، ص168، رسالة ماجستير.بوشاقور علي، جامعة وهران، مخطوط حقائق على الآجرومية، لوحة 81.

[29] – سورة يوسف، الآية29.

[30] – حقائق على الآجرومية، رسالة ماجستير.

[31] – لقمة المبتدي، ص30.

[32] – المصدر نفسه، ص31.

[33] – المصدر نفسه، ص32.

[34] – إعراب الجمل، نور الدين عبد القادر، ص06.

المخطوط الرابع: " شرح اللامية المجرادية في الكلام على الجمل النحوية " لعبد القادر المجاوي نجد فيه اهتماما كبيرا بالمصطلحات فقد ورد فيه الآتي:

الفصل في اللغة الحاجز بين الشيئين، وفي الإصطلاح اسم لطائفة من المسائل مشتركة مع ما قبلها في الحكم فإن كانت غير مشتركة فيعبرون عنها بالباب ([35])

وهذا الاهتمام بالمصطلحات نجده كثيرا في تراثنا كلما ولينا نحو مخطوط في النحو ولم يتوقف هذا الاهتمام بل استمر حتى عند علمائنا في العصر الحديث.

ونجد هذا الاهتمام بتحديد المصطلحات عند الشيخ: الطيب المهاجي (ت 1969 م) في كتابه: " التراكيب النحوية " .

فقد ورد ما يأتي:

فالإعراب روح التراكيب النحوية ولذا أفردوه بباب تضمن تعريف الإعراب ([36])

ثم أفرد لهذا المصطلح عنصرا بكامله تحت عنوان:

تعريف الإعراب لغة واصطلاحا ([37])

وقد أورد تحت هذا العنصر ما يأتي:

الإعراب لغة: له معان منها هنا البيان، ومعناه اصطلاحا: تغيير ظاهر أو مقدر محله آخر كلمة، ويتنوع بسبب تعاقب العوامل إلى أنواع أربعة تسمى أقسام الإعراب ([38])

وما استنتجناه من خلال تعاملنا مع المخطوطات أن اهتمام علمائنا بالتحديدات للمصطلحات كان شغلهم الشاغل والأمثلة في هذا الباب كثيرة في تراثنا وأعني بهذا هنا المصنفين الجزائريين والشراح الذين شرحوا الألفية والآجرومية.

إحصائيات تحديد المصطلحات في بعض المخطوطات:

حقائق على الآجرومية لمحمد ابن أحمد المكنى بابن شعيب.

لقد حدد المصنف عشرين مصطلحا من بين خمس وأربعين مسألة. أي: 20 / 45

الآجرومية عن طريق السؤال والجواب لنور الدين عبد القادر.

لقد حدد المصنف خمسة عشر مصطلحا من بين سبع وعشرين مسألة. أي: 25/15.

إعراب الجمل لنور الدين عبد القادر.

لقد حدد المصنف نور الدين عبد القار خمسة عشر مصطلحا من بين ثلاث وعرين مسألة أي: 23/15.

لقمة المبتدي لعلي ابن عبد الرحمن الجزائري.

لقد حدد المصنف ثمانية عشر مصطلحا من بين خمس وأربعين مسألة. أي: 45/18.

---

[35] – شرح اللامية المجرادية، ص07.

[36] – التراكيب النحوية ص01.

[37] – المصدر نفسه والصفحة نفسها

[38] – المصدر نفسه، والصفحة نفسها.